قالت عائشة رضي الله عنها فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا
مكة وكان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وكان يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر

وقال ايضا مرة اخرى اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
وهذا في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس
ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انشده النابغة شعره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يفضض الله فاك وقالت عائشة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الاشعار
وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن ابي
الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك رفقا بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال
من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هو الا اشعار يؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك
الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ يؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه
فاقول لله عز وجل سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن
الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج
من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا
جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له
علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت
الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء
تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث
فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فترى الابل اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال

تحت

تحت المحامل والاحمال اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة اذانها
وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها من شدة السير
وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي
قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه فرايت
في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو
ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي
فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني قال فلما احضروا الطعام امتنعت
وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا
فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو
بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل
الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا
امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله
ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلب محسوس
ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع
وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك
كانت الطيور تقف على راس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار
تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص
واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب
ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع
لاغراض مخصوصة ترتبط بها اثار في القلب وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم
يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف
الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثير ذلك تهييج
الشوق الى حج بيت الله عز وجل والاشتعال بنيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة
الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان
التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه

Copyright © King Saud University